حفظ المنطق
مقصدٌ شرعيٌّ



تأليف وجمع

عبد الرحمن بن نايف بن مطر الأسلمي الشمري

سلّمه الله

مدينة العِلم والكرم "حـائـل"

١٥ / ١٠ / ١٤٣٥هـ



- قال الحافظ محمد بن علي الكَرَجي القصَّاب (ت٣٦٠هـ) رحمه الله في نُكته:

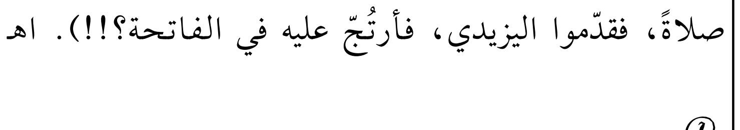
عند قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾.

(يؤكد أن البلاء موكل بالمنطق، لأنهم لم يعتلوا علىٰ أبيهم، إلا بالشيء نفسه الذي سمعوه ينطق به لا غيره.) اهـ

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْأَخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾.

(قد صحّ من حيث لا ارتياب فيه: أن البلاء موكل بالمنطق، وذلك أن هذين لم يكونا رأيا ما قالا، وكأنهما تحالما وبُليا.) اهـ

وفي تأريخ الإسلام للذهبي رحمه الله، قال: (ذكر ابن الدَّورقي قال: اجتمع الكِسائيّ واليزيديّ عند الرشيد، فحضرت العشاء فقدّموا الكِسائي، فأرتُجّ عليه قراءة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فقال اليزيديُّ: قراءة هذه السورة ترتجّ علىٰ قارئ أهل الكوفة!!! قال: فحضرت صلاةً، فقدّموا اليزيدي، فأرتُجّ عليه في الفاتحة؟!!). اهـ







الرسالة الخامسة
حِفظ المنطق مقصدٌ شرعيٌّ

- **الحمد لله وبعد:** فحفظ المنطق مقصد شرعي ومطلب ديني ودنيوي، قد جاءت النصوص من الكتاب والسُّنة وآثار السَّلف الصالح بالحث عليه حتىٰ لو كان هذا المنطق جائزًا شرعًا، لكنه خلاف الأولىٰ والأدب والأكمل، بل لو كان حكاية حال واقعة أو قصة ماضية أو حتىٰ علىٰ سبيل ضرب المثل والاحتمال!! كل ذلك حفظًا للمنطق، ومُراعاة للأدب القولي والفعلي في كل وقت وحال.

- **قال الله تعالىٰ:** ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ﴾.

- ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾.

- ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾.

- ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾.

- ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾.

- **قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ** في تفسيره عند آية (٦٣) من سورة الكهف: (إضافة الشر وأسبابه إلىٰ الشيطان علىٰ وجه التسويل والتزيين، وإن كان الكل بقضاء الله وقدره) .اهـ

- **وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ** في موضعين من تفسيره عند قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾، ما نصه: (والأفعال كلُّها خيرها وشرها، في إيمانها وكفرها، طاعتها وعصيانها، خالقها هو الله لا شريك له في خلقه، ولا في خلق شيء غيرها، ولكن الشرَّ لا يُنسب إليه ذِكرًا، وإن كان موجودًا منه خَلْقًا، أدبًا أدَّبنا به، وتحميدًا علَّمناه.

وكان من ذِكر نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لربه به، قوله من جملته: **(والخير في يديك، والشرُّ ليس إليك)**، علىٰ هذا المعنىٰ، ومنه قول الخليل إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾، فأضاف المرض إلىٰ نفسه، والشفاء إلىٰ الله تعالىٰ، وقول الفتىٰ للكليم موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾) .اهـ

- **وقال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره عند آية الجن: (وهذا من أدبهم في العبارة، حيث أسندوا الشر إلىٰ غير فاعل، والخير أضافوه إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ). اهـ

- **وقال العلامة عبد الرحمن السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضعين من تفسيره: (مع أن الكل بقضاء الله وقدره، وفي هذا بيان لأدبهم، إذ أضافوا الخير إلىٰ الله تعالىٰ، والشر حذفوا فاعله تأدبًا مع الله سبحانه). اهـ

- **وقال ابن جزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تسهيله عند آية النساء: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾، بتصرفٍ يسيرٍ: (إعلام أن السيئة والحسنة، والخير والشر، من عند الله أي: بقضائه وقدره (قُل كُلٌّ من عند الله) . . . . ، فنسبة الحسنة إلىٰ الله، والسيئة إلىٰ العبد تأدبًا مع الله في الكلام، وإن كان كل شيءٍ منه في الحقيقة). اهـ

- **قلتُ:** ونظير آية النساء هذه، قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾.

- **وقال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره عند آية سورة الكهف (٧٩): ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾، فأضاف العيب إلىٰ نفسه . . . . ، رعاية للأدب لأنها لفظة عيب . . . . ، فلا يُضاف

إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من الألفاظ إلا ما يستحسن منها دون ما يُستقبح، وهذا كما قال تعالىٰ: (بيدك الخير)، واقتصر عليه فلم ينسب الشر إليه، وإن كان بيده الخير والشر، والضر والنفع، إذ هو علىٰ كل شيء قدير). اهـ **وبنحو ذلك قال السعدي وابن عطية الأندلسي رحمهما الله في تفسيرهما.**

- **وقال ابن حجر الهيتمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد سُئل عن حديث: (لا يقول أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل يقول نُسِّيت)، فأجاب ما نصه: (الأمر بأن يقول نُسِّيتُ بتشديد السِّين أو أُنسِيت إنَّما هو لِرعاية الأدب مع الله تعالىٰ في إضافة الأشياء إليه، لأنَّها منه بطريق الحقيقة خيرها وشَرِّها، ونِسبَتُها للعبد إنَّما هي من حيثُ الكسبُ والمباشرةُ، فأمرنا برعاية هذه القاعدة العظيمة النَّفع العزيزة الوقع). اهـ[١]

- **قلتُ:** واحذر من كسب الأشعري!!! فإنه من الكسب المحرّم!!!

- **وقال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بدائع الفوائد ما نصه: (هذا جاء علىٰ الطريقة المعهودة في القرآن، وهي: أن أفعال

(١) من الفتاوىٰ الفقهية الكُبرىٰ (١/ ٣٦).

الإحسان والرحمة والجود تُضاف إلىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فيذكر فاعلَها منسوبةً إليه، ولا يَبني الفعلَ معها للمفعول، فإذا جاء إلىٰ أفعال العدل والجزاء والعقوبة حَذف الفاعل، وبَنَىٰ الفعلَ معها للمفعول، أدبًا في الخطاب، وإضافةً إلىٰ الله أشرف قِسْمَي أفعاله، فمنه هذه الآية، فإنه لما ذكر النعمةَ فأضافها إليه ولم يحذف فاعلها، ولما ذكر الغضبَ حذفَ الفاعل، وبَنَىٰ الفعل للمفعول، فقال: ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وقال في الإحسان: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

ونظيره قول إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، فنسب الخلق والهداية والإحسان بالطعام والسقي إلىٰ الله، ولما جاء إلىٰ ذكر المرض، قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾، ولم يقل: أمرضني، وقال: ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، ومنه قوله تعالىٰ حكايةً عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾، فنسبوا إرادة الرشد إلىٰ الربِّ، وحذفوا فاعِلَ إرادة الشر، وبنوا الفعل للمفعول.

ومنه قول الخضر عَلَيْهِٱلسَّلَامُ في السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾،

فأضاف العيبَ إلىٰ نفسه، وقال في الغلامين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾، فحذفَ الفاعلَ وبناه للمفعول، وقال: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾، لأن في ذكر الرَّفث ما يَحسُن منه أن لا يقترن بالتصريح بالفاعل.

ومنه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾، وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ﴾ إلىٰ آخرها.

ومنه وهو ألطف من هذا وأدق معنىٰ، قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ إلىٰ آخرها، ثم قال: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾، وتأمل قوله تعالىٰ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾، كيف صرَّح بفاعل التحريم في هذا الموضع، وقال في حق المؤمنين: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾). اهـ

- **وقال أيضًا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الآخر: جلاء الأفهام، عند قول الخليل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾، ما نصه:

(أنه حذف المبتدأ من قوله: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾، فإنه لمَّا أنكرهم ولم

يعرفهم احتشم من مواجهتهم بلفظ ينفِّر الضيف لو قال: أنتم قوم منكرون، فَحَذْفُ المبتدأ هنا من ألطف الكلام، وأيضًا: بنىٰ الفعل للمفعول، وحذف فاعله، فقال: ﴿مُنكِرُونَ﴾، ولم يقل إني أنكركم، وهو أحسن في هذا المقام وأبعد من التَّنفير والمواجهة بالخشونة.) اهـ

- تنبيه جليل: ومن هذا الباب لطيفة دقيقة وجميلة خاصة بأهل القرآن ومن لهم عناية بعلومه وهي:

لا ينبغي أدبًا مع كلام الله عَزَّوَجَلَّ أن نقول فيه (زيادة) عند إعراب بعض آياته كنحو (ما) زائدة، والباء زائدة، والذي عليه المحققون كما قال الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تجنب هذه الألفاظ في القرآن، إذ الزائد ما لا معنىً له، وكلام الله منزَّه عن ذلك، بغضِّ النظر عن قصد القائل.

والقاعدة في ذلك أن نقول: (لا زائد في القرآن)، وبعضهم تلطَّف بالعبارة وهي لطيفة فقال: (صِلة)، والمعنىٰ واحد، وأفضل تعبير يُقال في هذا المقام هو: التوكيد، فيُقال مثلًا في (مِن) في قوله تعالىٰ: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾، حرف توكيد، وهكذا في سائر القرآن العظيم تأدبًا مع كلام الله.

- وعلىٰ هذا الأدب العالي الرفيع سار أهل اللغة وعلوم العربية رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، فقالوا مثلًا في قول الشاعر:

رأيت اللهَ أكبرَ كل شيء
محاولةً وأكثرهم جنودًا

قالوا: لفظ الجلالة أو الاسم الكريم أو الاسم الشريف: (منصوب علىٰ التعظيم)، وفي كتاب الله من ذلك الشيء الكثير.

- **قال العلامة شعبان بن محمد القرشي الآثاريّ المصري الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٨٢٨هـ)، في خاتمة ألفيته في النحو تحت عنوان: (خاتمة الفصول)، ناصحًا طلاب العِلم وأهله مُراعاة الأدب في الإعراب مع الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ومع كتابه الكريم، في أبيات هي غاية في الجودة والتحرير والإتقان، ما نصه:

خاتمةُ الفصول اعرابُ الادبْ
مع الإله وهو بعضُ ما وَجَبْ
فالربُّ مسؤول بافعال الطلبْ
كاغفر لنا والعبدُ بالأمر انتدب
وفي سألتُ اللهَ في التعليمِ
تقولُ: منصوبٌ علىٰ التعظيم

فَقِسْ علىٰ هذا ووقّع بِلَعَل
منهُ وحَقّق بِعَسَىٰ تُعطىٰ الأمَل

باللهِ طالبٌ ومطلوبٌ علمْ
قد يَعلمُ اللهُ بمعنىٰ: قد عُلِم

وامنع من التصغير ثم التثنية
والجمع والترخيم خيرَ التسميَه

ولا تقُل عند النداءِ: يا هو
فليس في النحاة من رواهُ

وشاع في لفظٍ من التعجُّب
ما أكرمَ اللهَ وفي معنىٰ أُبي

وحيثُما قيل: الكتاب انهضْ إليه
كتابُ ربي لا كتابُ سيبويه

لأنه بكل شيءٍ شاهدُ
ولا تقُل ذا الحرف منهُ زائد

بل هو توكيدٌ لمعنىٰ أو صِلَه
للّفظ في آياتِه المفصَّلة

أو لمعانٍ حُقّقتْ عمن رَوَىٰ
كهل ونحو بل لمعنىٰ لا سِوَىٰ

ومَنْ يقُل بأنَّ ما زاد سَقَط
أخطأ في القول وذا عينُ الغلَط

كمثل أنْ مفيدة الامهال
وكافهُ نافيةُ الأمثالِ

ولا تكن مستشهدًا بالاخطلِ
فيه ولا سواهُ كالسموألِ

وغالب النحاة عن ذا البابِ
في غَفلةٍ فانحُ علىٰ الصّوابِ

تكُن كمن بِلُغةِ العدناني
أعرَبَ وهي لغَةُ القُرآنِ

والأخذُ فيه عن قريش قد وَجَبْ
لأنّهم اشرفُ بيتٍ في العَربْ

فكُن كَمَنْ بقولهم قد اكتفىٰ
وحسبُنا اللهُ تعالىٰ وكفىٰ(١)

- وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: (يقول لهما: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ﴾، وهو الذي رأىٰ

(١) كِفاية الغُلام في إعراب الكَلام، طبعة أولىٰ: عالم الكتب ومطبعة النهضة العربية لعام ١٤٠٧هـ، صفحة ١٠٩، تحقيق: هلال ناجي وزهير زاهد.

أنه يعصر خمرًا، ولكنه لم يُعيِّنه، لئلا يحزن ذاك، ولهذا أبهمه في قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾، وهو في نفس الأمر الذي رأىٰ أنه يحمل فوق رأسه خبزًا). اهـ

- **وقال أبو حيان الأندلسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾: (وما أحسن ما جاءت هذه الغيبة، لأنه لما كنىٰ عن الحاجة بالغائط، كره إسناد ذلك إلىٰ المخاطبين، فنزع به إلىٰ لفظ الغائب بقوله: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ﴾، وهذا من أحسن الملاحظات وأجمل المخاطبات). اهـ

- **وقال الخطابي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معالم السُّنن تحت حديث: (. . . **فإذا أتىٰ أحدكم الغائط** . .): (وأصل الغائط: المطمئن من الأرض، كانوا ينتابونه للحاجة، فكنوا به عن نفس الحدث، كراهية لذكره بخاص اسمه، ومن عادة العرب، التعفف في ألفاظها، واستعمال الكناية في كلامها، وصون الألسنة كما تُصان الأسماع والأبصار عنه.) اهـ

- **وقال النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لمسلم: (استحباب استعمال ألفاظ الكنايات فيما يتحاشىٰ من التصريح به، فإنه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لا يدري أين باتت يده، ولم يقل فلعل

يده وقعت علىٰ دبره أو ذَكَره أو نجاسة أو نحو ذلك، وإن كان هذا معنىٰ قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولهذا نظائر كثيرة في القرآن العزيز والأحاديث الصحيحة، وهذا إذا عُلِم أن السامع يفهم بالكناية المقصود، فإن لم يكن كذلك فلا بد من التصريح، لينفي اللبس والوقوع في خلاف المطلوب، وعلىٰ هذا يُحمل ما جاء من ذلك مُصرّحًا به والله أعلم). اهـ

- **وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد النحوي (ت٢٨٥هـ)** رَحِمَهُٱللَّهُ: (ويكون من الكناية، وذاك أحسنُها، الرغبةُ عن اللفظِ الخسيس المُفْحِش، إلىٰ ما يدل علىٰ معناه من غيره، . . . . ومن ذلك قولهم: جاء فلان من الغائط، كنايةٌ عن الحَدَث، وإنما الغائطُ الوادي). اهـ[(١)].

- **قلتُ**: ومن هذا ما يُكنى به العوام عندنا، إذا أراد أن يذهب لقضاء الحاجة يقول: أطيِّر الشراب أو أعمل مثل الناس أو أي عبارة مُتعارف عليها يُفهم منها أنه يريد أن يبول ونحوه، وفي زماننا هذا اصطلح الناس علىٰ الحمَّام أو بيت الخلاء بقولهم: **(دورة المياه)**، وكُل ذلك حسن، إن قال الخلاء

(١) الكامل في اللغة والأدب (٢/ ١٠).

أو الحمَّام أو الحُشّ أو الكنيف أو الغائط أو المرفق، وهذا الأخير فيه حديث ضعيف عند ابن ماجة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا يعجز أحدكم إذا دخل مرفقه أن يقول: ..... الحديث).

وفي مُسند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان أسامة بن زيد رِدف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم عرفة فَدَخل الشِّعب فنَزَل فأهراق الماء ..... أي: بال.

وعنه أيضًا قال: كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخرُجُ فيُهريق الماء، وعن ابن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: انتهيتُ إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أهراقَ الماء .... الحديث، وكلاهما في مُسند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفي معاني الآثار للطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن عبد الله بن علقمة عن أبيه قال: كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إذا أهراق الماء .... الحديث.

وفي سُنن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: دخل عليَّ عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد أهراق الماء فدعا بوضوء .... الحديث.

وفي مُصنف عبد الرزاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن التابعي جابر بن زيد أبي الشعثاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: (هو ماؤك فأهرقه).

وما ورد عن بعض السَّلف الصالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من كراهيته لقول: أريق أو أهريق، ففي اسانيدها نظر كبير!!! والله أعلم.

- **وقريب من ذلك:** ما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾، قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأستاههم، ولكن الله كريم يُكني.

- **وقال سعيد بن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الله كنىٰ ولو شاء لقال: (أستاههم)، وإنما عنىٰ بـ: (أدبارهم)، أستاههم. اهـ(١)

- **ونظيره أيضًا:** ما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾، فقد قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، الملامسة: الجماع، ولكن الله كريم يُكني عما شاء. اهـ(٢)

- **ونظيره:** ما قاله ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (محاشُّ النساء عليكم حرامٌ).، قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هي جمع مَحشَّة،

(١) تفسير الطبري آية ٥٠ سورة الأنفال.

(٢) تفسير الطبري آية ٤٣ سورة النساء، وجاء عنه أيضًا نحو ذلك في (الرفث) من سورة البقرة آية ١٩٧ و١٨٧، وفي (الإفضاء) من سورة النساء آية ٢١.

وهي الدُّبر، قال الأزهري: ويقال أيضًا بالسين المهملة، كنَّىٰ بالمَحاشِّ عن الأدبار، كما يُكَنَّىٰ بالحُشُوش عن مواضع الغائط). اهـ

- **ونظيره:** ما قاله ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عند قوله تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا﴾ ﴿مُشۡرِكَةٗ﴾، قال: الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة، ولكن الله كنَّىٰ.

- **وقال الحافظ الكبير أبو بكر بن أبي شيبة رَحِمَهُٱللَّهُ:** حدثنا وكيع، عن سُفيان (الثوري)، عن عاصم (ابن سُليمان الأحول)، عن بكر (ابن عبد الله المزني)، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: الرفث: الجماع، ولكن الله كنَّىٰ[1].

- **وقال العلامة ابن بطة العُكبري رَحِمَهُٱللَّهُ** عند قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ﴾، فعنىٰ بالجلود: الفروج. اهـ[2]

- **وقال ابن الأثير الموصلي رَحِمَهُٱللَّهُ** في المثل السائر: (مثال الحقيقة والمجاز قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى

(١) وهذا إسناد صحيح.

(٢) الإبانة الكبرىٰ (١/ ٤٧٩)، ط: عادل الحمدان الغامدي نفع الله به.

ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، فالجلود ههنا تُفسَّر حقيقة ومجازًا:

أما الحقيقة فيراد بها الجلود مُطلقًا، وأما المجاز فيراد بها الفروج خاصة، وهذا هو الجانب البلاغي الذي يرجح جانب المجاز علىٰ الحقيقة، لما فيه من لطف الكناية عن المكنَّىٰ عنه، . . . . وليس في الجوارح ما يكره التصريح بذكره إلّا الفرج، فكني عنه بالجلد، لأنه موضع يكره التصريح فيه بالمسمّىٰ علىٰ حقيقته، . . . . فلم يكن المراد بالجلود إلّا الفروج خاصة). اهـ

- **ومن ذلك:** ما يُحكىٰ من قول أو فعل الغير إذا كان قبيحًا سيئًا، كما في قصة وفاة عم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ حين قال له: (يا عم قل: لا إله إلا الله . . . . . .)، فكان آخر ما قال هو علىٰ ملَّة عبد المطلب، فالراوي كره هذا اللفظ فأسنده بضمير الغائب.

وإلا الرواية الصحيحة هي: (أنا علىٰ ملَّة عبد المطلب)، ولا عيب في الراوي حين أتىٰ بضمير الغيبة بل أحسن في ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له.

- **قال النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لصحيح مسلم: (فهذا من أحسن الآداب والتصرفات، وهو أن من حكىٰ قول غيره القبيح أتىٰ به بضمير الغيبة لقبح صورة لفظه الواقع). اهـ

- **وقال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتح: (غيَّرها الراوي أنفةً أن يحكي كلام أبي طالب استقباحًا للفظ المذكور، وهي من التصرفات الحسنة). اهـ

- **قلتُ:** ونظير ذلك من وجه ما ثبت بالحديث: (الطيرة من الشرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل)..

- **قال البغوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح السُّنة: (قوله: وما منا إلّا، معناه: إلّا وقد يعتريه التطير، ويسبق إلىٰ قلبه الكراهية فيه، فحذفه اختصارًا، واعتمادًا علىٰ فهم السامع). اهـ **ثم ذكر أن هذا موقوف علىٰ ابن مسعود** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

- **وقال الشيخ العلامة عبد المحسن العباد البدر حفظه الله ونفع به:**

(-إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله- قال: يا ويله، المقصود إن الشيطان قال: يا ويلي، ولكنَّ الراوي حكىٰ علىٰ هيئة الضمير الغائب وليس

هيئة المتكلم، حتىٰ لا يُضيف الإنسان إلىٰ نفسه هذا التويُّل أو ذِكر الويل علىٰ نفسه مع أنه حكايةٌ لكلام الشيطان، فهذا من المحافظة علىٰ السلامة في الألفاظ من أن يُضيف الإنسان إليه شيئًا لا ينبغي.

وهذا من جنس ما ورد في قصة أبو طالب لما حضرته الوفاة وجاءه الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعرض عليه الشهادة وأن يدخل في الإسلام، وأن يأتِ بكلمة التوحيد، فكان عنده بعض الجلساء يُرغِّبونَهُ بأن يَبقَىٰ علىٰ ملِّة عبد المطلب، وكان آخر ما قال هو علىٰ ملة عبد المطلب، وفي الأصل قال: أنا، ولكنَّ -الراوي- أتىٰ بهُوَ يعني: بضمير الغيبة، حتىٰ لا يضيف الإنسان المتكلم علىٰ نفسه مثل هذا اللفظ، -ونظير هذا- الجنازة التي إذا كانت صالحة قالت: قدِّموني قدِّموني، وإذا كانت غير ذلك قالت: يا ويلها يا ويلها أين تذهبون بها، يعني: العبارة يا ويلي أين تذهبون بي، فأتىٰ بهذا الضمير من أجل السلامة في اللفظ، أن يُضيف الإنسان إلىٰ نفسه شيء ليس بطيِّب). اهـ[1]

(١) بتصرف يسير جدًا، من شرح سُنن ابن ماجة رَحِمَهُ اللهُ، كتاب: إقامة الصلوات والسُّنة فيها، باب: سجود القرآن، حديث رقم (١٠٥٢)، شريط: (٨٠/أ)، وهذا النقل لا تجده بالكتب مُطلقًا، إلا في كتابي هذا، فأحرص عليه جيدًا..

- **قلتُ:** وفي السُّنة النبوية غير هذا كثير، ففي سُنن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين جيء بماعز بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (إنه قد زنىٰ الآخر)، وفي لفظ البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن الآخر قد زنىٰ)، يعني: نفسه، والصحابي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي جامع في نهار رمضان، فقال للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هَلَكَ الأبعدُ). اهـ[1]

وفي صحيح البخاري: قال الخليل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لربَّه: (فأي خزي أخزىٰ من أبي الأبعد؟).

وفي هذا الباب ثلاث دُرر نافعة

- **الأولىٰ:** في سورة النور عند آية الملاعنة، الضمير فيها ضمير غيبة، لكن الزوج يجعله وقت الملاعنة ضمير مُتكلم، **كما نبه علىٰ ذلك العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الشرح الممتع (١٣/ ٢٩٠).

- **الثانية:** من أدب نبي الله يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، حين راودته المرأة قال: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي﴾، وأتىٰ بضمير الغيبة، إذ كان غلب عليه الحياء أن يُشير إليها ويُعيّنها بالإشارة فيقول: هذه

(١) رواه الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الموطأ.

راودتني أو تلك راودتني، لأن في المواجهة بالقبح ما ليس في الغيبة . . . . . **قاله أبو حيان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره.

- **قلتُ:** أرأيت كيف خاطب ربنا الحليم نبيّه الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بضمير الغيبة؟ فقال سبحانه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾.

- **الثالثة: قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: (وقد أورد ابن جرير ههنا: من حديث عبد الله بن المبارك، عن عبد الله بن مَوْهَب، حدثنا يزيد بن قسيط، قال: كانت الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ يكون لهم مساجد خارجة من قراهم، فإذا أراد النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يستنبئ ربه عن شيء خرج إلىٰ مسجده، فصلىٰ ما كتب الله له، ثم سأل ما بدا له.

فبينا نبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في مسجده، إذ جاء عدوّ الله -يعني: إبليس- حتىٰ جلس بينه وبين القبلة، فقال النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم! (**فقال عدو الله: أرأيت الذي تعوذ منه فهو هو**)، فقال النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**، قال: فرده، قال: فردد ذلك ثلاث مرات.

فقال عدو الله: أخبرني بأي شيء تنجو مني؟

فقال النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: **بل أخبرني بأي شيء تَغْلِبُ ابن آدم مرتين؟**

فأخذ كل واحد منهما على صاحبه، فقال النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾، قال عدو الله: قد سمعت هذا قبل أن تولد.

قال النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ويقول الله: ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، **وإني والله ما أحسست بك قط، إلا استعذت بالله منك، قال عدوّ الله: صدقت! بهذا تنجو مني.**

فقال النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: **فأخبرني بأي شيء تغلب ابن آدم؟** قال: آخذه عند الغضب، وعند الهوى.) اهـ

- **قلتُ: فقول الراوي:** (فقال عدو الله: أرأيت الذي تعوذ منه فهو هو)، صوابها في الرواية: **(فهو أنا)**، بضمير المتكلم، لكن الراوي كره إسنادها لنفسه، فعبَّر بها بضمير الغائب، **وهذه فائدة لا تجدها في الكُتب قط إي والله ولا أحنث!!! إنما استفدتها أنا من أفواه المشايخ (بالياء) ولا تهمز فافهم.**

- **ومناسبة ذكري لهذه الأمور هي:** إذا كان الشارع راعىٰ الألفاظ الجائزة شرعًا أن يقولها المسلم صيانة له ولغيره، وتجنّبًا لقبيح القول والمنطق، وأرشد إلىٰ عدم التصريح بالألفاظ السيئة، وإبدالها بغيرها أو استعمال الكناية أو التعريض أو غيرها من الأساليب المتاحة، فحَريٌّ بالمسلم حفظ لسانه ومنطقه من صريح العبارات، وقبيح النبرات، **لأن هذا هو الأصل** في الخلوات والجلوات، في الحركات والسكنات، **فالأصل الحفظ من كل كلمة جارحة، والتصريح عارض محدد في زمان ومكان وحال مُعيَّن فقط لا يتجاوزه.**

لذلك كان من وصايا الإمام الشافعي لتلميذه المزني رحمهما الله أن قال لهُ: **(أُكسُ ألفاظك أحسنها).**

- **وعليه أقول:** الأكمل والأفضل عند الثناء علىٰ نفسك أو غيرك أو حتىٰ الإخبار بذلك والعكس: ذم نفسك أو غيرك أن يكون ذلك كله بضمير الغائب دون المتكلم أو المخاطب، وفي ذلك من الفوائد ما لا يُحصىٰ علىٰ النفس وعلىٰ الغير، وبهذا جاءت آداب الكتاب والسُّنة والآثار عن سلف الأُمة ولله الحمد والمنة.

انتبه

- **البلاء مُوكَّلٌ بالمنطق:** كما تقرر في القواعد الشرعية، وأدلة ذلك لا حصر لها كثرة، منها:

الرجل الذي قال: حمىٰ تفور علىٰ شيخ كبير تُزيره القبور، فكان كما قال.

وقصة عويمر العجلاني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الملاعنة.

وقول كعب بن الأشرف اليهودي: (إن الكريم لو دُعي إلىٰ طعنةٍ ليلًا لأجاب)، فكان كما قال وقُتل.

وقول الرجل حين قال له النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **(كل بيمينك)**، قال: لا أستطيع، فما رفعها إلىٰ فيهِ.

وفي ترجمة الحارث بن أبي حارثة من الإصابة لابن حجر، قال: (إن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خطب بنت الحارث، فقال: إن بها سوءًا؟ ولم يكُن كما قال، فرجع الحارث فوجدها قد بَرصت) .اهـ

- **قال أبو الخير الهاشمي (ت ٤٠٠هـ)** رَحِمَهُٱللَّهُ في كتابه الأمثال: (البلاء موكّل بالمنطق، أي: ربّما نطق الإنسان بما يكون فيه بلاء). اهـ

- **وصحّ عن ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (البلاء موكل بالقول)، وفي لفظ: (بالكلام).

- **وقال معاذ بن جبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أيها الناس لا تعجلوا بالبلاء قبل نزوله)..

- **وصحّ عن التابعي إبراهيم النخعي** رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: (إني لأرىٰ الشر أكرهه، فما يمنعني أن أتكلم به إلا مخافة أن أُبتلىٰ به)..

- **وفي ترجمة التابعي عَمرو بن عتبة بن فرقد السُّلمي الكوفي** رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان في الجهاد في سبيل الله: (خرجنا في جيش فيهم علقمة ويزيد بن معاوية النخعي وعَمرو بن عتبة بن فرقد ومعضد العجلي رَحِمَهُمُ اللَّهُ، قال: فخرج عَمرو بن عتبة وعليه جبة جديدة بيضاء، فقال: ما أحسن الدم يتحدر علىٰ هذه، قال: فأصابه حجر فشجه، قال: فتحدر الدم عليها فمات منها، فدفناه). اهـ

- **قال العلامة الكبير ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ في التُحفة عن البلاء مُوكَّل بالمنطق، ما نصه: (وقد رأينا من هذا عِبرًا فينا وفي غيرنا، والذي رأيناه كقطرة في بحر). اهـ

احفظ لسانك لا تقول فتُبتلىٰ
إن البلاء موكلٌ بالمنطقِ

- **فائدة (١):** في قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **(والشر ليس إليك)**، من معانيه: أن الشر لا يصعد إليك، وإنما يصعد إليه الكلم الطيب والعمل الصالح فقط، وهذا هو الحق، قال الله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾، وثبت في البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، وفيه: **(من تصدَّق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يَصعدُ إلىٰ الله إلاَّ الطيِّبُ)**.

فما نسمعه من بعض الخطباء والوعاظ -هداهم الله- حين يقول: خيرك إلينا نازل، وشرنا إليك صاعد!!!

غلطٌ فاحش وسوءُ أدبٍ ظاهر، **فالشّرور والخبائث مَحلُّها الأرض، ولا يصعد إلىٰ السماء إلا الخيرات والطيّبات.**

ولهذا الحديث الذي في صدر الفائدة شواهد كثيرة في الكتاب والسُّنة، منها: حديث خروج روح الميت وفيه: أخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث فيُعرج بها إلىٰ السماء فلا يفتح لها، وحديث: إذا لعن العبد شيئًا صعدت اللعنة إلىٰ السماء فتغلق أبواب السماء دونها.

- **قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ** في كتابه الصلاة: (واسمه الطيب ولا يصدر عنه إلا طيب، ولا يصعد إليه إلا طيب، ولا يقرب منه إلا طيب، وإليه يصعد الكلم الطيب، وفعله طيب، والعمل الطيب يعرج إليه، فالطيبات كلها له، ومضافة إليه، وصادرة عنه ومنتهية إليه). اهـ

- **وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ** في الوابل الصيّب: (ونور العبد هو الذي يصعد عمله وكلمه إلىٰ الله تعالىٰ، فإن الله تعالىٰ لا يصعد إليه من الكلم إلا الطيب، وهو نور ومصدر عن النور، ولا من العمل إلا الصالح، ولا من الأرواح إلا الطيبة). اهـ

- وما ينقل في بعض الكتب ممّا يُظن أنه حديث مرفوع **كأثر**: (يقول الله تعالىٰ: يا ابن آدم ما تنصفني، أتحبب إليك بالنعم، وتتمقت إلي بالمعاصي، خيري إليك منزل، وشرك إلي صاعد ...... إلخ)، **وأثر**: (خيري إلىٰ العباد نازل وشرهم إلي صاعد ...... إلخ)، **فكُل هذه لا تصح ولا تثبت كما حرره العلامة الألباني رحمه الله وغفر له**[١].

---

(١) في السلسلة الضعيفة برقم (٣٢٨٧ -٢٣٧١).

- **والحديث الذي في مُسند الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من حديث عبد الرحمن بن خنبش التميمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فهو ضعيف سندًاوفيه نكارة.

- **وعن التابعي الفقيه الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (في قوله تعالىٰ:

﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾، قال: إن العمل الصالح يرفع إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا كان عمل سوء لم يرفع).، وفي لفظ قال: (لا يَصعدُ إليه الكلِمُ الطيِّبُ إلَّا بالعمل الصالح، فإذا كان كلامٌ طيِّبٌ , وعملٌ سيِّئٌ، رُدَّ القول إلىٰ عمله). اهـ[(١)]

- **فائدة (٢):** في ترجمة الإمام المبارك عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ من سير أعلام النبلاء: قال نُعيم بن حمَّاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت ابن المبارك يقول: (السَّيفُ الذي وقع بين الصحابة فتنةٌ، ولا أقول لأحد منهم هو مَفْتونٌ). اهـ

---

(١) الترغيب والترهيب لقوام السُّنة الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ترتيب الأمالي للشجري (ت٤٩٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- **قلتُ:** وهذا من كمال أدبه مع السَّلف من الصحابة رضوان الله عليهم، وقارن بين هذا وبين من يَصِفهُم صراحةً بأوصاف قد سَلِمَ منها اليهود والنصارىٰ والمجوس!! كالرافضة ومن داهنهم من أبناء جلدتنا؟ وكأصحاب المناهج الحزبية والإخوانية ومن والاهم؟

أو من يلمزهم وهو يشعر أو لا يشعر، كمن يصف الصحابي الذي بال في المسجد، بأنه أعرابيٌّ جافٍ!!

أو يصف الجارية الصحابية التي قال فيها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **(إنها مؤمنة)** فيقول: الجارية الجاهلة ونحوها!! وهذا قد سمعته بأُذني من أحدهم وإن شئت سمَّيتُه؟ وهو والله الجاهل الجافي بل الحِمار!! ويَستحق الوسم علىٰ قفاه.

والصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بشر، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بشر، وحفظ مقامهم أمر مطلوب.

ونظير هذا من يقول: في زمن النبوة وقع الزنىٰ والسرقة ووو .... إلخ، وبعض المتعالمين الذي لم يَبق من العِلم ما يُحرِّرُهُ سوىٰ مسألة: هل الأنبياء تقع منهم الكبائر أو فقط الصغائر؟!!

وكل ذلك سوءُ أدبٍ وقلة حياء ورقة ديانة، فلا ينبغي مثل ذلك، بل لا يجوز قطعًا، صيانة لأشرف خلق الله الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، ثم الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

وليس كل ما جاز نظريًا جاز عمليًا، وليس كل ما جاز عمليًا، جاء وقته وحينه الذي لا يسع معه السكوت حينئذ، فاعتبار مثل هذه الأمور في وقتها وزمانها ومكانها مهم.

وما جاءنا هذا البلاء في زماننا الذي نعيشه إلا من هؤلاء الأحداث الأغمار الصِغار المتعالمين، أصحاب الشهادات الجامعية، يتخرَّج أحدهم من الجامعة (**مؤنث وليس الذكر «الجامع» كالأنثىٰ**) ويحسِبُ أنه حصَّل عِلمًا!! أو أنه صنع شيئًا!!

ويزداد البلاء بهذه الدرجات الكنسيّة!! (**الماجستير والدكتوراه**)، وكثيرٌ منهم بل أكثرهم أجهل من حِمار أهله وجيرانه؟! ولكن لا يشعر بذلك.

- **يقول الشيخ السلفي محمد تقي الدين الحسيني الهلالي المغربي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٠٧هـ): (ومن سوء حظ العرب في هذا الزمان، عموم الجهل والتقليد فيهم، وسيرهم علىٰ صراط معوج، لأنهم لا يعتبرون العِلم، وإنما يعتبرون الشهادات

المزيفة، التي يحصل عليها كثير من الدواب!! فيتسنَّمون أعلىٰ المراتب في الجامعات، وهم صمٌّ بكمٌ عميٌ ....، وكما قلنا من ضلالات العرب أنهم يتركون العين ويطلبون الأثر، باعتمادهم علىٰ الشهادات، فهم كما قال الشاعر:

ولو لبس الحمارُ ثيابَ خزٍّ
لقال النّاس يا لك من حمارِ

فكذلك الجاهل إذا أخذ الشهادة من الجامعة يقول الناس: يا لك من عالم! وإذا لم تكن له شهادة يقول أشباه الناس: يا لك من جاهل!) اهـ[(١)]

- وقال العلامة المقرئ عُبيد الله الأفغاني المدني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٤٣٣هـ)، وهو يصِفُ بعض دكاترة الجامعة: (أنا اسمِّي مثل هذا الجنس دفاترة!! ما هم دكاترة؟ وأنا صادق لأني عاشرت كثيرًا منهم، وعرفتهم حق المعرفة، حتىٰ إنَّ بعضهم لا يُجيد تخصصه!!) اهـ[(٢)]

---

(١) سبيل الرشاد (٣/ ١٩)، ولي مؤلف مخطوط في هؤلاء النكرات اسمه: (الصعقة الغضبية علىٰ من يتكسَّب بشهادتهِ الشرعية!)، ومؤلف آخر اسمه: (الفروق الواضحات بين طُلاب الجوامع والجامعات!)، يشفي ويكفي بإذن الله.

(٢) ص٢٠٨ ترجمة الشيخ عُبيد الله الأفغاني، جمع: يحيىٰ الشِّهري، ط: دار عالم الفوائد.

- **وعَودًا علىٰ بدءٍ:** في ضمن الحاوي للسيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة جميلة اسمها: (**تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء**)، تصلح لهذا الباب جدًا، الذي أختمه بهذه النكتة البديعة منه.

- **قال السيوطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال الشيخ تاج الدين بن السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنت يومًا في دهليز دارنا في جماعة، فمر بنا كلب يقطر ماء يكاد يمس ثيابنا، فنهرته، وقلت: يا كلب يا ابن الكلب، وإذا بالشيخ الإمام يعني: والده تقي الدين السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسمعنا من داخل.

فلما خرج قال: لم شتمته؟ فقلتُ: ما قلتُ إلا حقًا أليس هو بكلب ابن كلب؟ فقال: هو كذلك، إلّا أنك أخرجت الكلام في مخرج الشتم والإهانة، ولا ينبغي ذلك -وفي رواية: شرط الجواز عدم قصد التحقير-). اهـ

- **قلتُ:** بمعنىٰ ليس اللوم بالخبر المحض، إنما اللوم يقع علىٰ قصدك وما تريد أنت بهذا الخبر، فالألسن مغاريف لما في القلوب، والقاعدة الشرعية النافعة في مثل ذلك هي: (**العبرة بالواقع لا بالدعوىٰ**).

- **قال الله تعالىٰ:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

- **وقال تعالىٰ:** ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾.

- ومن هذا القبيل قول الشيطان -نعوذ بالله منه-: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

- **وقوله في معركة بدر:** ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ﴾، وكذب عدو الله فليس هذا فعل الخائفين.

- **جملة معترضة:** والله أقسم بها ولا أحنث قد طرأ عليَّ وأنا أتأمل هذه القاعدة: **(العبرة بالواقع لا بالدعوىٰ)**، حال المنافقين الجُدُد في هذا العصر!! حين أفتوا الناس بالمظاهرات السّلمية زعموا!! والتي آل أمرها إلىٰ الحرب بين المسلمين أنفسهم كما هو الواقع الآن؟!

وقالوا بقول آبائهم: **(إنما نحن مُصلِحُون)**، فلما وقع السَّيفُ؟ قالوا بقول الشيطان: **(إني أخافُ الله)**، فتأمل.

وإني أنصح كل مُسلم بهذه القاعدة المحكمة الراسخة ثم ينظر حوله فسيَرىٰ مُدّعي العِلم ولا عَمل، والصلاح ولا صلاح ووو . . . . . . إلخ، والبيِّنةُ علىٰ المُدَّعي، ويَرىٰ الناس بعين قلبه لا بصره، والله وحده المستعان علىٰ ما يصفون، لذلك جاءت كلمات السَّلف الصالح كالذهب الخالص في هذا الصِّنف من الناس.

فقال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (إن الناس قد أحسنُوا القول كُلّهم، فمن وافق قولُهُ فِعلهُ فذلك الذي أصاب حظّهُ، ومن خالَف قولُه عَمله فإنَّما يُوبِّخُ نَفسهُ). اهـ

وقال الحسن البصري رَحِمَهُٱللَّهُ: (اعتبرُوا الناس بأعمالِهم، ودَعُوا قولَهم، فإنَّ الله لم يَدع قولًا إلَّا جعل عليه دليلًا من عَملٍ يُصدِّقُه أو يُكذِّبُه). اهـ

وقال القاسم بن محمد التابعي رَحِمَهُٱللَّهُ: (أدركت الناس وما يعجبهم القول إنما يعجبهم العَمل، قال القاسم: من شاء قال). اهـ

وقال خالد بن دينار البصري التابعي رَحِمَهُٱللَّهُ: (أدركت الناس وهم يعمَلون ولا يقولون، وهم اليوم يقولون ولا يعمَلون). اهـ

- ومن هذا الباب: كلمات لا ينبغي أن تُقال والأولىٰ اجتنابها، ولا تثريب علىٰ قائلها، لكن أهل العِلم رحمهم الله نبَّهوا عليها، ومنها:

(نسيتُ آية كذا وكذا بل نُسِّي)، مبني لما لم يسم فاعله، أدبًا مع الله سبحانه ومع كتابه القرآن العظيم، ومن ذلك: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾، - (ليس كذا: لا تُقال لمن يقرأ القرآن بل يُقال اقرأ آية كذا، وبهذا ثبت الأثر عن علقمة وإبراهيم النخعيان رحمهما الله) - (لوطي والأولىٰ قول: من عمِلَ عمل قوم لوط، وبه جاءت السُّنة والآثار) - (مسيحي والمسيح بريءٌ منهم، والصواب قول: نصراني وبه جاء الكتاب والسُّنة) - (أسقطت آية كذا) - (لا تقل إني كسلان! وقد كره ذلك ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا) - (قُل السباحه أو المسبِّحه أفضل من السبَّابه) - (أنا الفقير والحقير ونحوهما ممن يزعم التواضع! وقد قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: لا يقل أحدكم خبثت نفسي، وليقل لقست.) - (ونحوها: ماني طيب أو لستُ بطيِّب، فتُخرج نفسك من الطيِّبين) - (جاره أفضل من قول ضَرَّة، وبهذا ثبت الأثر عن التابعي ابن سيرين رَحِمَهُٱللَّهُ).

- **فائدة حلوة:** قال الحافظ الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح مشكل الآثار: (وصف النفس بالخُبث، وصف لها بالفسق، ومنه قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾، فكان مكروهًا للرجل أن يُفسِّقَ نفسه إذا لم يكن منها ما يوجب ذلك عليها، وكان محبوبًا له أن يقول مكان ذلك: لَقِست نفسي، وإنَّ معناهما معنىً واحد). اهـ

- **وقال ابن أبي جمرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** (يستحب مجانبة الألفاظ القبيحة والأسماء، والعدول إلىٰ ما لا قُبح فيه، ..... وفيه: إن المرء يطلب الخير حتىٰ بالفأل الحسن، .... ويقطع الوُصلة بينه وبين أهل الشر حتىٰ في الألفاظ المشتركة). اهـ[١]

- **ومن حفظ المنطق سوىٰ ما تقدم:** كراهية قول هلك الناس وفسدوا، وإن كان الواقع كذلك!!

وماذا تستفيد يا أخي بحكاية واقع كل الناس يعلمونه؟! كأنك تقول: السماء فوقنا والأرض تحتَنا!!

ولكن الواجب علىٰ طلبة العِلم وأهله بَعْث الأمل في نفوس

---

(١) بتصرف من فتح الباري لابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الناس ونعشه، لا سيّما في زمن الضعف والغربة، ليحسُن ظنهم بربهم ويستبشروا خيرًا.

والأُمة الإسلامية بأسرها كالشخص الواحد في مراحل عُمره، قد يُصيبه ويعتريه الضعف والوهن لأسبابٍ كثيرةٍ، فإذا وُجِدَ من يُنْعِشُهُ من سكرتِه، استبشر وفرح وعاد كأحسن ما كان عليه.

- **قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (إن الإيمان لَيخلَقُ في جوف أحدكم كما يَخْلَقُ الثوب الخلِق، فاسألوا الله أن يُجدد الإيمان في قلوبكم)**[1].

- **وقاعدة الإسلام العُظمىٰ من الكتاب والسُّنة النبوية والآثار السَّلفية:** علىٰ التبشير بالخيرات والمسرات، ولهم في ذلك الصُور المُشرقة والنماذج النيِّرة، لبعث الأمل في نفوس الأُمة ونعشه عند ضعفها ووهنها وتكالب الأعداء عليها، فمن ذلكم:

- **قول أم المؤمنين خديجة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا لنبينا محمدصَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (أبشر فو الله لا يُخزيك الله أبدًا).

(١) رواه الحاكم في المستدرك وحسّنه العراقي والهيثمي والألباني رحم الله الجميع.

- **وقول ابن عباس في الفاروق عُمر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: (مصَّر الله بك الأمصار وفتح بك الفتوح)، وكان ذلك في النزع.

- **وقوله أيضًا في عائشة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وهي في النزع: (ولم ينكح بكرًا غيرك ونزل عُذرك من السماء).

- **وقول علي بن أبي طالب في عُمر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (ما خلَّفتُ أحدًا أحبَّ إليَّ أن ألقىٰ الله بمثلِ عَمَلهِ منكَ، وأيمُ الله إن كنتُ لأظنُّ أن يجعَلَكَ الله مع صاحبيك).، وصدق أبا الحسن رضي الله عنهم أجمعين.

- **وكل ذلك فيه: من التفاؤل، وحُسن الظن بالله، وحُسن المنطق، وإدخال السرور علىٰ قلب أخيك المسلم، ورفع المعنويات النفسية والحسية، لا سيّما في حال الضعف، والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، وترغيم عدو الله إبليس، وغير ذلك من الفوائد والحكم ما لا حصر لهُ لمن تأمله، والكلمة الواحدة قد تعمل عملها في النفس الأبيَّة ولو بعد حين، ورُبَّ كلمة واحدة غيّرت أُمّة وأحيت هِمّة وأوصلت للقمة.**

- **قال أنس بن مالك** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وهو يصِفُ حالهم بعد وفاة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **(خطبنا أبو بكر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **وكنا كالثعالب، فما زال يُشجعنا حتىٰ صرنا كالأسود)..**

- ومن حفظ المنطق لا سيّما في زماننا هذا:

قاعدة نبوية جميلة وجليلة: **(ما بال أقوام؟)**، وكان من هديه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: أن لا يواجه أحدًا في وجهه بشيءٍ يكرهه، وكان إذا سمع ما يكره أو فيه مخالفة قال: **(ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟)**، ويذكر المقولة ولا يذكر عين القائل، ويعُم في كلامه ولا يُخصص أحدًا.

- **قال العلامة المناوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التيسير علىٰ الجامع الصغير: (وهذا أبلغ وأعم نفعًا لحصول الفائدة فيه لكل سامع، مع ما فيه من حُسن المداراة والستر علىٰ الفاعل وتأليف القلوب). اهـ

- **وقريب من هذا قد ذكره الطحاوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مُشكل الآثار، والنووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه علىٰ صحيح مسلم، وابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري، والعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه علىٰ رياض الصالحين.

- ولما وقعت فتنة الخليج الأولىٰ بغزو العراق للكويت، وحصلت فتنة بين صفوف أهل العِلم مشهورة ومعروفة، وجّه

الشيخ العلامة عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلمة أصبحت منهجًا يسير عليه الدُعاة إلىٰ الله في كل مكان وزمان وحال، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فنصيحتي للجميع أن يكون التخاطب فيما يتعلق بالنصيحة والنقد من طريق الإبهام لا من طريق التعيين، إذ المقصود التنبيه علىٰ الخطأ والغلط، وما ينبغي من بيان الصواب والحق، من دون حاجة إلىٰ تجريح فلان وفلان). اهـ

- **قلتُ:** وهذا هو المقصود الأعظم: الردّ علىٰ هذه الأقوال الضعيفة والمرجوحة، لا سيّما والأصل عدم التعيين إلا عند الضرورة والحاجة المُلحّة.

لذلك تجد الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه يقول: (وقال بعض الناس)، وهكذا عند العُلماء كابن تيمية وابن القيم وغيرهما رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الأذكار (باب: في ألفاظ حُكي عن جماعة من العُلماء كراهتها وليست مكروهة): ...... اعلم أني لا أُسمّي القائلين بكراهة هذه الألفاظ، لئلا تسقط جلالتهم ويُساء الظن بهم، وليس الغرض

القدح فيهم، وإنما المطلوب التحذير من أقوال باطلة نُقلت عنهم.) اهـ

- أما إذا كان الشخص مُبتدع، وليس من أهل السُّنة، ولا يُعذر مثله بما وقع فيه من الباطل، فأذكره باسمه الثلاثي بعينه ولقبه وكُنيته وصفته ولا كرامة، ليحذره الناس، فهذا لون وما ذكرنا من القاعدة الجميلة لون آخر.

- قال أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من خالف الكتاب المستبين والسُّنة المستفيضة أو ما أجمع عليه سلف الأُمة، خلافًا لا يُعذَرُ فيه، فهذا يُعامل بما يُعامل بهِ أهلُ البدع). اهـ

- ومن حفظ المنطق: ما قاله الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الطُرُق الحكمية: (أن بعض الخلفاء سأل رجلًا عن اسمه؟ فقال: سعد يا أمير المؤمنين، فقال: أيّ السعود أنت؟ قال: سعد السعود لك يا أمير المؤمنين، وسعد الذابح لأعدائك، وسعد بَلَع علىٰ سماطك، وسعد الأخبية لسرك: فأعجبه ذلك.

ويشبه هذا: أن مَعْن بن زائدة دخل علىٰ المنصور: فقارب في خطْوه، فقال له المنصور: كَبِرت سِنُّك يا معن، قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: إنك لَجلد، قال: علىٰ أعدائك، قال: وإنَّ فيك لبقية، قال: هي لك.

وأصل هذا الباب قوله تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ﴾.

إذا كلم بعضهم بعضًا بغير التي هي أحسن فرُب حربٍ وقودها جُثث وهام، أهاجها قبيح الكلام.

وفي الصحيحين من حديث سهل بن حنيف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (لا يقولنَّ أحدكم: خَبُثت نفسي، ولكن ليقل: لَقِسَتْ نفسي)، وخبثت ولقست وعثت متقاربة في المعنىٰ، فكره رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لفظ: (الخبث) لبشاعته، وأرشدهم إلىٰ العدول إلىٰ لفظ هو أحسن منه، وإن كان بمعناه تعليمًا للأدب في المنطق، وإرشادًا إلىٰ استعمال الحسن، وهجر القبيح في الأقوال، كما أرشدهم إلىٰ ذلك في الأخلاق والأفعال). اهـ

فائدة مُعترضة

- **الخليج الفارسي!!!** هكذا يُعبَّر به عند بعض المتعالمين من أهل السُّنة، كما سمعته بأُذني وأنا جالسٌ عنده، ويُعلَّل ذلك وكل ما علَّله كاسمه!! إنه هكذا كان يُسمىٰ قديمًا قبل أن يُصبح اليوم بـ: (الخليج العربي؟!).

وهذا كذبٌ أصلع! وأنا لا أعرف أحدًا من المتقدمين البتة من أطلق عليه هذه التسمية الفجة: (الخليج الفارسي)!!!

فمن حفظ المنطق: إنزال الأمور منازلها الصحيحة، فلا أدري هل يتمنىٰ أن يكون فارسيًا أو يتفاءل بهذه التسمية!؟

قال الشيخ العلامة السلفي محمد تقي الدين الحسيني الهلالي المغربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٤٠٧هـ) في كتابه: الدعوة إلىٰ الله في أقطار مختلفة: **(في خليج البصرة والذي يُسمِّيه الأوربيون الخليج الفارسي). اهـ**

وهذه هي التسمية الصحيحة له -خليج البصرة- وأقدم من وقفتُ عليه بهذه التسمية هو العلامة الفراهيدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت١٧٠هـ) في كتابه: (العين)، وكان يُسمِّيه: (بحر البصرة).

بحر أو خليج المهم هو: أن لا يُنسب للفُرس، وكل من في هذه البقعة عربٌ خُلّص، فكيف يُقال الفارسي؟!

فوائد مليحة من كُتب عديدة

- قال محمد بن الحارث الثعلبي البغدادي (ت٢٥٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (دخل سعيد بن مُرَّة الكِندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال له معاوية: أنت سعيدٌ؟ فقال: أمير المؤمنين السعيد، وأنا ابن مُرَّة.

وكان السيِّد بن أنس الأزدي إذا سأله المأمون عن اسمه قائلًا: أنت السيِّد؟ يقول: أمير المؤمنين السيِّد، وأنا ابن أنس.

وهكذا جاءنا الخبر عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصنو أبيه حين قيل له: أنت أكبر أم رسول الله؟ فقال: هو أكبر مني، وولدت أنا قبلَه، ألا تراه كيف تخلَّص إلىٰ أحسن الأحوال في الأدب فاستعمله). اهـ[١]

- وقال الحجاج للمُهلب: أنا أطول أم أنت؟ قال الأمير أطول، وأنا أبسط قامة منه.

- ووقف المهدي علىٰ امرأة من بني ثعل فقال لها: ممن العجوز؟ قالت: من طيِّئ؟ قال: ما منع طيِّئًا أن يكون فيها آخر مثل حاتم؟! قالت: الذي منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك، وأُعجب بقولها ووصلها.

- **ومن ذلك:** ما قاله موسىٰ بن هارون رَحِمَهُ اللَّهُ حين سأل إمام المشرق إسحاق بن راهوية رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٦١هـ): من أكبر أنت أو أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٦٤هـ)؟ فقال إسحاق: هو أكبر مني في السِّن وغيره[٢].

---

(١) أخلاق الملوك ص١٠٦.

(٢) تهذيب الكمال (٢/ ٣٧٨).

- وسُئل جبلة بن حارثة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنت أكبر أم زيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؟ فقال: زيدٌ أكبر مني، وأنا وُلدتُ قبله(١).

- **قلتُ:** وزيدٌ هذا هو حِبُّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، زيد بن حارثة الأمير الشهيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي لم يُسمِّ الله سبحانه في كتابه القرآن العظيم أحدًا غيره من الصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين.

- **وسأل عثمان بن عفان** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قُباث بن أشيَم أخا بني يعمُر بن ليث: أأنت أكبرُ أم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ فقال: رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أكبر منّي، وأنا أقدم منه في الميلاد.

- **وسأل رسول الله** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قيس بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنت أكبر أم أنا؟ فقال: رسول الله أعزّ وأكبر، وأنا أقدم منه في المولد.

- وقال عَمرو بن عثمان لطويس: أيّنا أسنّ؟ قال: لقد شهدت زفاف أمّك المباركة علىٰ أبيك الطيّب، فلم يجعل الطّيب صفة للأم تفاديًا من سوء ظنّ فيه.

---

(١) نبلاء الذهبي (١/ ٢٢٣).

- **ويُروىٰ أن عُمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لرجل: أتبيع هذا الثوب؟ فقال: لا عافاك الله! فقال عُمر: لقد عُلِّمتم لو تعلمون، قُل: لا، وعافاك الله.

- **وتكلّم بعض الناس عند الصاحب فسأله عن شيء، فقال: لا أطال الله بقاءك! فقال: قُل: لا، وأطال الله بقاءك، فقال بعضهم: ما رأينا واوًا أحسن موقعًا من واوك.**

- **قلتُ:** وهذه الواو عجيبة وجميلة وتُغيِّر المعنىٰ تمامًا، فبها يكون الدعاء للشخص، وبدونها يكون دُعاءٌ عليه، وهذه الواو تأتي في كلمات كثيرة مثل: لا وجزاك الله خيرًا، لا ويرحمك الله، لا والحمد لله.

- **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح: (قال القرطبي: ينبغي أن يقف قليلًا بعد لا، حتىٰ يتبين للسامع أن الذي بعده كلام مُستأنف، لأنه إذا وصله بما بعده، يتوهم السامع أنه دعا عليه، وإنما هو دعاء له، ويزول الإبهام في مثل هذا بزيادة واو، كأن يقول: لا ويرحمك الله). اهـ

- **وقال ابن الملقن** رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح البخاري: (وينبغي أن يقف علىٰ لا دقيقة، حتىٰ يتبين للسامع أن ما بعده كلام مُستأنف، لأنه إذا وصل ما بعد لا، توهم السامع أنه دعاء عليه). اهـ

- وسأل المأمون يحيىٰ بن المبارك المقرئ عن شيء، فقال: لا وجعلني الله فداك يا أمير المؤمنين، فقال: لله درك ما وضعت واوٌ موضعًا أحسن من موضعها في لفظك هذا.

- **وقال ابن إسحاق** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال أبو العاص بن الربيع رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا وجزاك الله خيرًا، فقد وجدناك عفيفًا كريمًا). اهـ

- **وفي فقه اللغة للثعالبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكان ابن عباد يقول: إذا سمع قول يحيىٰ بن أكثم للمأمون وقد سأله عن شيء: لا وأيّدَ الله أمير المؤمنين، هذه الواو أحسن من واوات الأصداغ، في خدود المُرد المِلاح). اهـ

- **وفي سُنن أبي داود** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يجلس معنا في المجلس، فحدثنا يومًافقمنا حين قام فنظرنا إلىٰ أعرابي قد أدركه فجبذه بردائه فحمر رقبته، فالتفت فقال له الأعرابي: احمل لي علىٰ بعيري هذين، فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **لا وأستغفر الله، لا وأستغفر الله، لا وأستغفر الله ...... الحديث بطوله**). اهـ

- **وفي مُصنَّف الحافظ الكبير ابن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: عن إبراهيم النخعي التابعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان يُقال: يكره أن يقول الرجل: لا، بحمد الله، ولكن يقول: لا، والحمد لله[١].

- **قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ** في غريب الحديث: (عن زيد بن أسلم عن أبيه رحمهما الله قال: خرجنا حتىٰ أتينا صِرارًا فقال عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: السلام عليكم يا أهل الضَّوء، وكَرِهَ أن يقول: يا أهل النار). اهـ

- **وفي كتاب مرآة الزمان في تواريخ الأعيان رحم الله مؤلفه قال:** (ولَـمَّا شرع المنصورُ في بناء بغدادَ، وخرج عليه محمدٌ وإبراهيم، جعل المنصورُ يدور في بُستان، وإذا بشجرة خلافٍ قد نبتت، ولم يكن أبو جعفر يعرفها قبل ذلك، فقال: يَا ربيع -وهو: حاجبه-، ما هذه؟ فكره أن يقول: شجرةُ الخلاف، فقال: هذه شجرةُ الوِفاق، فأُعجب أبو جعفرٍ به). اهـ

- **وقال العلامة ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: (بلغنا عن الرشيد أنه كان في داره حزمة خيزران، فقال لوزيره الفضل بن الرّبيع: ما

---

(١) وسنده صحيح.

هذه؟! فقال: عروق الرماح يا أمير المؤمنين، ولم يُرد أن يقول: الخيزران، لموافقته اسم أم الرشيد). اهـ

- **منزع لطيف:** في كتاب الشريعة للآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، طبعة دار الوطن الثانية لعام ١٤٢٠هـ، قال محقق الكتاب الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي غفر الله له، في حاشية ٢** (٢/ ٥٥٤)، تحت حديث: **(من قال لا إله إلا الله دخل الجنة)**، قال: (وهذا الحديث مما يؤيد بدعة الإرجاء)!!!

- **قال العلامة المجاهد الشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله ونفع به مُعلِّقًا علىٰ هذه العبارة:** (ما كان ينبغي أن يقول: يؤيد بدعة الإرجاء، وإنما يقول: تعلق المرجئة خطأً بهذا الحديث، وإلا هو لا يؤيد مذهبهم ولله الحمد، لأن كلام الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يكون إلا حقًّا فلا يؤيد باطلًا أبدًا) .اهـ[(١)]

- **قلتُ:** وهذا حقٌّ، لأن الحق لا يؤيد الباطل أبدًا، ونظير هذا الكلام الموهم، قول بعضهم: نطق القرآن بكذا وكذا - قال القرآن - صرَّح القرآن - ونحوها: فالعدول عن مثل هذه العبارات المحتملة والموهمة أولىٰ وأسلم لدين الإنسان.

---

(١) الذريعة إلىٰ بيان مقاصد كتاب الشريعة (١/ ٤٩٠) ط: دار الميراث النبوي، أولىٰ ١٤٣٤هـ.

لأن القاعدة العامة في هذا الباب، أعني باب الألفاظ: لا يُنظر فيه لقصدك وما في قلبك وما كنت تُريده، ويُنهىٰ عن الكلمة الموهمة لذات لفظها، ولو كان قصدك فيها طيبٌ حسن، والأمثلة في الكتاب والسُّنة وآثار سلف الأُمة علىٰ ذلك كثيرة جدًا.

- **ونظير هذا المنزع الشفَّاف:** ما قاله الشيخ العلامة الناصح الصالح صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان نفع الله به، في مقال له حول ما يُسمىٰ بتقنين الشريعة: (الواجب أن يُقال: تشريع القانون، أي: تحويله إلىٰ ما يوافق الشريعة، ولا يُقال: تقنين الشريعة، أي: تحويلها إلىٰ ما يشبه القانون الوضعي، تأدبًا مع شرع الله، وتنزيهًا لهُ بأن يهبط به إلىٰ مستوىٰ صورة القوانين الوضعية). اهـ[1]

- **وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** (ومن الأدب مع رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن لا يُستَشكَل قولُهُ، بَل تُسْتَشكَل الآراء لقولِهِ، ولا يُعارض نَصُّهُ بقياس بَل تُهدر الأقيسة وتُلقىٰ لِنُصوصِهِ، ولا يُحرَّف كلامُهُ عن حقيقتِهِ لِخَيال يُسمِّيهِ أصحابُهُ

(١) البيان لأخطاء بعض الكُتَّاب (٣/ ١٦٠).

معقولًا، نعم هو مجهول وعن الصّواب معزول، ولا يُوقف قبول ما جاء بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ مُوافقة أحَدٍ، فكُل هذا من قِلَّة الأدب معهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو عين الجُرأة). اهـ[١]

- **وقال العلامة ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ** في حجة الوداع: (الواجبُ عرض الأقوال علىٰ ما جاء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلأيِّها شهد أُخِذَ به، وأيَّها خالف رُمِي ذلك القول واطرح). اهـ

- **وقال الإمام سُفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ**: (إنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الميزانُ الأكبر، فعليهِ تُعرض الأشياءُ، علىٰ خُلقه وسيرته وهديه، فما وافقها فهو الحقُّ، وما خالفها فهو الباطل). اهـ

- **وكان بين يدي الخليفة المأمون مساويك: فسأل الحسن بن سهل ما هذه؟ فقال: ضدُّ محاسنك يا أمير المؤمنين، وكره أن يقول مساويك.**

- **ونظيرها وهي بديعة**: ما حصل لأبي عثمان بكر بن محمد المازني البصري النحوي (ت ٢٤٩هـ) شيخ

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٦٦).

المبرد رحمهما الله، مع الواثق بالله الخليفة أبو جعفر العباسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حين سأله ممن الرجل؟ فقال: من بني مازن، قال الواثق: أي الموازن؟ أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة؟ قال أبو عثمان: من مازن ربيعة، فكلمني بكلام قومي، وقال لي: باسمُك؟ أي: ما اسمك (**لأنهم كانوا يقلبون الميم باءً والباء ميمًا إذا كانت في أول الأسماء**)، فكرهت أن أُجيبه علىٰ لغة قومي، كيلا أواجهه بالمكر، فقلت: بكرٌ يا أمير المؤمنين، ففطن لما قصدته وأعجب به. اهـ[١]

- **وقال الحافظ ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا من الفراسة في تحسين اللفظ، وهو باب عظيم النفع، اعتنىٰ به الأكابر والعُلماء، وله شواهد كثيرة في السُّنة، وهو من خاصية العقل والفطنة). اهـ[٢]

- **وفي تاريخ الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حين قَدِمَ سعد بن معاذ الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ليحكُم في بني قريظة، قال لهم: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيها ما حكمت، قالوا نعم، قال سعدٌ: **وعلىٰ من ها هُنا**، في الناحية التي فيها

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان وغيره بتصرف يسير.

(٢) الطرق الحكمية ص١١٥.

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو مُعرض عن رسول الله إجلالًا لهُ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نعم.

- **قلتُ:** أُنظر إلىٰ الأدب العالي الرفيع فحينها تعلم أن البقر! والحُمُرات **(جمع الجمع للحِمار)** الأهلية والوحشية والإنسيّة والجنّية! الذين يتكلمون في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ويطعنون فيهم، أنهم قومٌ مساكين، لا يعقلون كالأنعام فهل تُلام؟؟!

- **وقول سعد نظير قول أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** في صحيح مسلم: (كُنّا قعُودًا حول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، معنا أبو بكر وعُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا).

ولم يقُل: حولنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من أدبه وحُسن منطِقه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونظيره في الآثار قول زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (تسحّرنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ولم يقُل: تسحّر معنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن المعية تُشعِر بالتبعية، لذلك قال الحافظ العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ في ألفية الحديث:

وَإِنْ يَكُنْ لاثْنَيْنِ نَحْوُ الْتَزَمَا
فَمُسْلِمٌ مَعَ الْبُخَارِيِّ هُمَا

- **وقال ابن المبرد رَحِمَهُ اللَّهُ** في الكامل في اللغة: (لأن حق رسول الله صلىٰ الله وعليه وسلم: أن يُضاف إليه، ولا يُضاف إلىٰ غيره). اهـ

- **وقال التابعي الكبير عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ الأنصاري الكوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: (كان أبي يَسمُرُ مع عَليٍّ)، ولم يقُل: كان علي يَسمُرُ مع أبي، وكلاهما صحابي جليل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ولكن الخليفة علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هو الأفضل.

- **ومن اللطائف الجميلة ما نقله الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ** في كتابه العِلل، فقال: (كان كهمس بن الحَسن هو والجُريري سعيد بن إياس أبو مسعود، في مسجدٍ واحدٍ، فقال كهمس: ذهبتُ أنا وأبو مسعود إلىٰ فلان، فقال له الجُريري: يا كهمس أنا ذهبتُ معك!!

يعني: أنا ذهبتُ وأنت معي، كأنه أحب أن يبدأ بنفسه، يعني الجُريري)، رحمهم الله أجمعين.

- **قلتُ**: ومن المسالك التربوية لتقوية الشخصية الإسلامية الإيمانية لدىٰ أشبال الأُمة المحمدية، **ما ذكره ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مواسم العُمر، حين قال: (ويَتبيّن فهم الصبي وعلو همته وتقصيرها باختياراته لنفسه، وقد تجتمع الصبيان للعب، فيقول العالي الهمة: مَن يكون معي، ويقول القاصر: مع مَن أكون). اهـ

- **ومن هذا أيضًا:** ما يُنقل عن بعض الخلفاء أنه رأىٰ كأن أسنانه سقطت جميعها، فقصَّها علىٰ مُعبِّر فقال: يموت أهلك كلهم، فغضب لذلك، وأنفذ إلىٰ معبِّر آخر، وقص عليه الرؤيا فقال: يا أمير المؤمنين أنت أطول أهلك عُمرًا، ففرح بذلك لأنه **أحسن العبارة، وذكر الحياة ولم يذكر الموت، والمعنىٰ واحد.**

- **قلتُ:** **والنظائر كثيرة في هذا الباب الجليل، لكن أصوله عندي علىٰ ثلاث ركائز وهي:**

١- العِلم، فبهي تعرف فضل المنطق السليم ومكانه وزمانه والحال المناسب فيه، والضرر الحاصل بتركه، وما يجنيه اللِّسان منه، إلىٰ غير ذلك من المنافع والمضار.

٢- حُسن الظن بالله تعالىٰ، ومن ذلك يَنبثق التفاؤل، لأن حُسن الظن دائمًايبعث علىٰ حُسن العَمل، ويَرىٰ الأشياء كلها ويحملها علىٰ خير الأمرين، كالذي يَرىٰ كأس الماء وفيه بعضه، فالمتفائل يقول: نصفه ممتلئ، والمتشائم يقول: نصفه فارغ، والمعنىٰ واحد!!! والتفاؤل عقيدة دينية.

٣- العقل الراجح، الذي يحجزه عن منطق السوء، فقد ترىٰ كثيرًا من الناس، لا يكون عنده نصيب من العِلم النافع، ولكن عنده خبرة كافية في الحياة، تجعله يعرف متىٰ يتكلم، ومتىٰ يسكت، ويعرف نتائج بعض الأمور ومآلاتها قبل وقوعها، فيحمله عقله السليم وفطرته،علىٰ الرأي المناسب في الوقت المناسب.

- **قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ** في صيد الخاطر: (وتأمل في حال يعقوب وحذره علىٰ يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، حتىٰ قال: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾، فقالوا: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾). اهـ

- **ومن حفظ المنطق فيما أرىٰ:** أن لا يُقال عند تعريف الحديث المرسل: **(ما سقط منه الصحابي!)**، وإن كان هذا هو الشائع المعروف عند العُلماء، ولكن أفضل من ذلك وألطف عبارة وأرق أن تقول:

(ما سقط منه اسم الصحابي)، كما قاله الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة حاتم بن عدي، وترجمة عمرو بن أبي سُفيان، وترجمة عبد الرحمن والد خلاّد، وترجمة الضحاك بن عبد الرحمن الأشعري رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، من كتابه الفذّ: الإصابة.

ونظير هذه اللفظة المنتشرة: ما درج عليه المتأخرون ولا أعلمه واردًا في رواية ولا عن السَّلف الأوائل من قولهم: **(حديث المسيء في صلاته)؟!!** حتىٰ أصبح هذا الوصف عَلَمًا عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكان من أدب الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أن قال: (ورأىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجُلًا يُصلِّي صلاةً لم يُحسِنها، فأمرهُ بالإعادةِ). اهـ[1]

- **ونظير ذلك**: عندما تُحرّر مسألة علمية اجتهادية وتختم بقول: (وأصح قولي العُلماء في هذه المسألة ..)، أفضل من قولك: (وهذا الصواب وما عداه فخطأ)، ونحوها من العبارات الخشنة.

- **ومن ذلك أيضًا**: عندما يفتح الله تعالىٰ عليك يا طالب العلم وتقرأ كتب العُلماء في الجوامع والمساجد علىٰ كافة الناس، في حِلق الدروس أو الدورات العلمية وغيرها، هُنا جانب هام في التربية العِلمية والعَملية وهو:

(١) كتاب الأم.

ليس كل ما يُعلم يُقال، وليس كل ما هو موجود في الكتب يصلح للقراءة أو لنقله للآخرين.

لأن من سياسة العِلم كتم بعضه أحيانًا لاعتبارات كثيرة، ومنها: ما نحن بصدده الآن وهو: (حفظ المنطق).

وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **(من تعزىٰ بعزىٰ الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا)**، وقال لماعز بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **(أنكتها؟)**، وقال أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **(امصص بظر اللات)**، ويُروىٰ عن عُمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: **(من اعتزىٰ بالقبائل فأعِضُّوه أو فأمِصُّوه)**.

فهذه النصوص حق لا شك فيه، ولكن متىٰ تُقال؟ أين تُقال؟ مع مَن تُقال؟ في وقتها وحينها عند الحاجة إليها فقط، وحين لا يُغني التلويح ولا التلميح بل لابد من التصريح، أما أن يُستدل بها وتكون ذريعة للفُحش وبذاءة اللسان، وأنه لا تأخذه في الله لومة لائم، فلا.

وقد ثبت بالأحاديث الكثيرة: (إن الله سبحانه لا يُحب الفحش والتفحش)، (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء)، (ما كان الفحش في شيء إلا شانه)، وإنزال النصوص منازلها أمر مطلوب في وقته وزمانه وحاله.

وكذلك ما يقوله العُلماء رحمهم الله في الكتب من كلمات خشنة أو قبيحة أو مُقذعة ونحوها.

مثل قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إغاثة اللهفان: (إذا بالغوا في سب الرجل قالوا زوج قحبة!!)، ونحوها من الكلمات التي تكون في الكتب فقط.

فينبغي لمن يقرأ مثل هذه العبارات أمام عامة الناس أن يُعبِّر بما يُرادف اللفظة: كزانية مكان قحبة مثلًا وهكذا، أو يُكنّي، أو يُعرِّض، أو يقرأ ما قبلها وما بعدها، ولا يقرأ عين اللفظة، أي: (يتجاوزها)، لأنها مُستقبحة وثقيلة علىٰ الروح والسمع.

ومُراعاة الحال والزمان ومع مَن يتكلم، والرغبة عن اللفظة الخسيسة، وحفظ المنطق من السوء، أمور مطلوبة شرعًا وعقلًا وعُرفًا.

- كما جاء بالأحاديث العديدة، من تكنية ما يُستحيىٰ من ذِكره، ومنها: (هل غاب ذلك منك فيها كما يغيب المرود في المكحلة، والرشاء في البئر؟)، (إذا التقىٰ الختانان)، (حتىٰ تذوقي عُسيلته ويذوق عُسيلتك)، (أصبت أهلي في رمضان)،

(فإذا رأىٰ أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله، فإن معها مثل الذي معها)، (ثُم إن كانت لهُ حاجةٌ إلىٰ أهلهِ قضىٰ حاجتهُ)، (فتعشىٰ وأصاب منها ما يُصيب الرجل من أهله)، (فحاضت صفية رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا فأراد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ منها ما يُريد الرجل من أهله)، وقول صفوان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: (والله ما كشفت كنف أُنثىٰ قط)، وسُئلت أم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، فقالت: (إن كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ليُقبل بعض أزواجه وهو صائم، ثم ضحكت).، وكانت هي صاحبة القصة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا.

عوّد لسانك قول الصِّدق تحظ به

إن اللسان لما عوّدت معتاد

وسياسة العِلم أشد من العِلم، لأن العِلم قد يُحصِّله أي أحد، بينما سياسة العِلم رأس مالها وقوامها علىٰ التجارِب والخبرة الطويلة في مدرسة الحياة.

وأخبرك عن نفسي وما وقع لي في هذا الباب: عن قصد طيب قلت لبعض العوام يومًا وهو مُقبل علىٰ الزواج ونيّتي تثقيفه بشيء من آداب النكاح ومُقدماته، فقلت لهُ: ينبغي لك أن تفعل كذا وكذا ثم كذا وكذا، مما هو من التفاصيل الحساسة

والدقيقة جدًا في أمور الجماع، وقال بهذا ابن سيرين وابن المنكدر والشعبي رحمهم الله وغيرهم من عُلماء السَّلف الصالح.

فرأيت وجهه وقد ظهر عليه الاستغراب والعجب لما أقول!! فلما أحببت أن أُوثّق كلامي بالمراجع لتزول عنه الدهشة، أحضرتُ لهُ عدة كتب منها: (روضة المحبين) لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فقال لي بالحرف الواحد: أنا ما كُنت أظن أن العُلماء يتكلمون بمثل هذه الأمور!! وأنها موجودة في الكتب أصلًا، فشرحتُ لهُ الأمر وزالت ولله الحمد عنه الدهشة.

فالشاهد من هذا: أن من سياسة العِلم إن أردت أن تتكلم بمثل هذه الأمور ونحوها، فينبغي عليك مُراعاة جوانب كثيرة، من زمان وحال ومكان وأُناس، ولِكُلِّ حالةٍ لَبُوسَها فافهم.

- **ومن العبارات الرشيقة والأنيقة في هذا الباب**: (ما بُني علىٰ غير صحيح فليس بصحيح، أولىٰ من: ما بُني علىٰ باطل فهو باطل) - (أنت غير عالم، أفضل من أنت جاهل) - (نصف الكاس ممتلئ ولا تَقُل نصفه فارغ!) - (أنا عند والدي

أو والدتي، ولا تقُل هو عندي أو هي عندي أو والدي عندي أو والدتي عندي) - (ضربتُ أمي إبرة السُّكر!! تعبير غير سليم، ولكن قُل: أخذت أمي أو أبي إبرة السُّكر، إبرة الشفاء) - (أُصيب أخف علىٰ النفس والسمع والروح من قولك: قُتل أو هلك أو فطس وبه جاءت السُّنة) - (فَطَس: أي مات، ولكنها كهَلَك ثقيلة علىٰ السمع والروح).

وإذا قرأت في كتب التراجم تجدهم يخبرون عن الأعوَر بقولهم، في عبارة لطيفة وخفيفة وبذوق رفيع: (وكان مُمتعًا بإحدىٰ عينيه).

- **ومن حفظ المنطق فيما أرىٰ:** عدم قول الطبيب للمريض فيه: مرض مُزمن!!! أي: دائم مُستمر لا يُرجىٰ برؤه.

أما ما ذكره الفقهاء رحمهم الله في باب الصيام وغيره، من قولهم هذا مرض لا يُرجىٰ برؤه: فهو باعتبار ترتب الأحكام الشرعية عليه، ولبيان الحكم الشرعي لمن هذا حاله الآن، ماذا يفعل؟ ماذا يصنع؟ ولا يقصدون أن يكون المرض لا شفاء منه أبدًا! وهل يعلمون الغيب؟! وما أنزل الله داءً إلا أنزل لهُ شفاءً، عرفه من عرفه وجهله من جهله.

إنما أردوا ماذا يفعل الآن: هل ينتظر زوال المرض فيقضي الصيام، أم يدفع كفارة، هل يجمع بين الصلوات، هل يتيمم بدل الوضوء، وهكذا الأمر في الحج وغيرها من العبادات والطاعات.

- **ومن حفظ المنطق:** عدم قولنا مرض خبيث أو خطير، بل الأولىٰ أن يُقال: مرض حَميد، لعدّة أمور منها:

تحسين اللفظ، وتفاؤلًا بأن يكون حميدًا سَليمًا، وما جرت عليه العرب الأوائل من قلب الكلمات السيئة إلىٰ كلمات حسنة، وما حثّنا عليه الدِّين الخالد وأكّده من النهي عن سبّ المرض وشتمه.

في الصحيحين قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأحد الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كيف أخي سعد بن عبادة؟ فقال الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صالحٌ). أي: تفاؤلًا، وإلا فهو في الحقيقة مريض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لذلك قام النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه بضعة عشر صحابيًا يعودونه.

وقال التابعي الجليل إبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كانوا يُحبُّون إذا سُئلوا عن المريض أن يقولوا: صالح، ثم يذكرون وَجَعه بعدُ). اهـ[١].

ومن صور قلب الكلمات تفاؤلًا عند العرب عبارات يُطلقونها منها:

المفازة للمهلكة -السليم للَّديغ- مَطبوب للمسحور -صحيح للسقيم- جبير للكسير ومنه: الجبيرة تفاؤلًا بجبر الكسر - صالح للمريض ...... إلخ.

وكما أن من عادتهم أنهم يُكنُّون ما يستقبحونه عادة كالرفث والغائط، كذلك فعلوا هُنا فيما يكرهونه من الأمراض ونحوها، وفيه تفاؤل.

- **ومن حفظ المنطق**: تكنية الأمراض والأوجاع وكل ما هو مكروه، ويُقال في كُنية الدُّنيا: أمُ دَرَن، والدَرَن الوسخ.

قال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الروضة: (وكانت العرب تُكنِّي العجلة: أم الندامات). اهـ

(١) من مُصنف الإمام الكبير ابن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وثبت بالسُّنة النبوية تكنية بعض الأمراض كالحمىٰ بأمُّ مِلْدَم، ورُوي أم الصِّبيان في ريح تضرُّهم، ونحوه في أم الخبائث وهي الخمر.

ويُروىٰ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتجم مرة في مقدم الرأس وكان يُسمِّيه أم مغيث، واحتجم مرة في النقرة وسماها: النافعة، والكاهل وسماها: المغيثة، ووسط الرأس وسماها: منقذة.

بل وصل بهم الحال إلىٰ تكنية الموت نفسه فقالوا: أمُّ اللُّهَيم، ولعلَّ من هذا الباب قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن الله تعالىٰ لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء إلا الهرم)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام)، فالهرم والسام هو: الموت. اهـ[(١)].

قال أبو العباس النحوي رَحِمَهُ اللَّهُ في كامله:

ترىٰ القومَ منها مُطرقينَ كأنما

تَساقَوا عُقارًا لا يَبلُّ سَليمُها

---

(١) وقد أخبرني أخي الشيخ المفيد فالح بن جبر التليعة الفضلي نفع الله به، أن بعض الناس في وقتنا الحاضر يُطلقون علىٰ مرض السرطان (المكفِّي: أي يَكفيك الله خطره وشره)، وهذا بلا شك جار علىٰ سَنن العرب في تكنية ما يكرهونهُ ويستقبحونهُ.

(والسليمُ): الملسوع، وقيل له سَليم علىٰ جهة التفاؤل.

تقولُ ابنةُ العَمرِيِّ مَالَكَ بَعدَما

أراكَ صَحيحًا كالسَّليمِ المُعَذَّبِ

وفي كتاب حلية الأولياء: قال ضرار بن ضمرة الكناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصفُ أمير المؤمنين الشهيد علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

(ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخىٰ الليل سدوله وغارت نجومه بميل في محرابه قابضًا علىٰ لحيته يتململ تململ السليم). اهـ أي: اللّديغ.

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في غريب الحديث: (يقال بفلان وضَح أي: بياض يُكنّون به عن البرص). اهـ

ولأهل المغرب الأقصىٰ في زماننا هذا عبارات يُطلِقونها في عُرفِهم يُريدون بها التفاؤل، ومن ذلك: (الروضة)، ويقصدون فيها المقبرة تفاؤلًا أن تكون علىٰ الميت روضة من رياض الجنة، وهذا بناءً لما يُروىٰ في سُنن الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرفوعًا: (**إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حُفرة من حفر النار**).

ويقولون: (العافية)، ويقصدون فيها النار، وأن يبرأ من مسّتهُ ويكون في عافية منها.

وقال العلامة خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ:
(كان قدماء العرب يقولون للعاثر -أي: الذي سقط علىٰ الأرض-: لعًا، وأهل مصر يقولون: يا ساتر، وأهل الشام يقولون: الله، وأما في الحجاز فقد أعجبني قولهم للعاثر: سلمت). اهـ[(١)]

قلتُ: وأهل نجد عندنا يقولون كذلك لكن بلفظ: (اسلم اسلم)، ولا شك أن هذه اللفظة فيها التفاؤل بالسلامة من السوء والمكروه.

قال عنترة بن شداد:

يـا دار عـبـلـةَ بـالـجـواءِ تـكـلَّـمـي
وعِمِي صباحًا دار عبلةَ واسْلَمِي

وقد ثبت في الحديث أيضًا: أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال للصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يومًا: (انطلقوا بنا إلىٰ بني واقف، نزور البصير، رجُلٌ كان مكفوف البصر). اهـ[(٢)].

---

(١) قال ذلك في رحلته إلىٰ الحجاز من كتابه: ما رأيت وما سمعت من دمشق إلىٰ مكة، ص١٦٠.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير، والبزار في مُسنده واللفظ له، وجوَّد =

وقال الجاحظ: (قالوا لشمال اليدين يسار لأن اسمها العسراء، فتفاءلوا باليسار من اليسر). اهـ[(١)].

وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد النحوي (ت٢٨٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويكون من الكناية، وذاك أحسنُها، الرغبةُ عن اللفظِ الخسيس المُفْحِش، إلىٰ ما يدل علىٰ معناه من غيره، .... ومن ذلك قولهم: جاء فلان من الغائط، كنايةٌ عن الحَدَث، وإنما الغائطُ الوادي). اهـ[(٢)].**

- **ومن حفظ المنطق:** ما ذهب إليه بعض العُلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ من عدم تسمية الأوامر والنواهي الشرعية: تكاليف، لما فيه من الإيهام من وجه، وعدم وروده عن السَّلف الصالح رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ من وجه آخر، وكل خير في اتباعهم والسير علىٰ منهاجهم.

قال الحافظ الكبير ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره:

(وأما أهل السُّنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: هو بدعة، لأنه لو كان خيرًا

= المنذري إسناده، وصححه الألباني رحمهما الله، واسم هذا الصحابي: عُمير بن عَدي بن خرشة الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قارئ بني خطمة، وكان أعمىٰ، (**فائدة:**) قال ابن دريد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الجمهرة: (وقد سمّت العرب بَصيرًا، ويُكنّون الضرير أبا بصير تفاؤلًا). اهـ.

(١) من ربيع الأبرار للزمخشري.

(٢) الكامل في اللغة والأدب (٢/ ١٠).

لسبقونا إليه، ولأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير، إلّا وقد بادروا إليها). اهـ

والحمد لله رب العالمين لا شريك له وهو أرحم الراحمين

كتب

عبد الرحمن بن نايف الغريري الشمري

حفظ الله مُهجته

١٥/ ١٠/ ١٤٣٥ هـ